الحلقة النقاشية (اسهامات العلماء المسلمين في خدمة البشرية)

الموافق يوم الاربعاء ٢٠١٢/٣/٢٤

(نماذج من العالمات المسلمات ودورهن في البناء الحضاري)

اعداد:ا.م.د.رقية شاكر منصور

ان الدور الذي قامت به المرأة المسلمة في بناء صرح النهضة العلمية و إقامة أسس الحضارة الإسلامية ، كان دورا فعالا في مختلف مجالات العلوم.

فقد نبغ في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي الآلاف من العالمات المبرّزات والمتفوقات في أنواع العلوم وفروع المعرفة وحقول الثقافة العربية الإسلامية

لقد كرم الإسلام المرأة وأعطاها مرتبة عالية من الكرامة الإنسانية حيث ساوى بينها وبين الرجل في التكليف بالعقائد والشرائع وفي الجزاء والثواب، وبالرغم من أن لها بعض الخصوصيات التي تختلف بها عن الرجل حيث أن الغاية منه هذا الاختلاف هو إقامة الحياة. يقول عز وجل في كتابه: ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))

وفتح الإسلام أمام المرأة كل ساحات الخير، والإسهام النافع في بناء المجتمع ورفعة الحياة الفاضلة، وقد فتح لها الأبواب عالية في إطار الأخلاق الصالحة.اذ قد شهد التاريخ الإسلامي تولي المرأة للعديد من المناصب المهمة والتي تعد قيادية بحد ذاتها في المجتمع الإسلامي. و تولت مناصب في القضاء والحسبة كما قد ساهمت المرأة المسلمة مساهمة كبيرة وفعالة في الحركة العلمية، إذ برزت العديد من النساء العالمات والفقيهات والمحدثات والمفتيات والأديبات والشاعرات. وكذلك في مجالات الطب والعمل الخيري والكتابة والدعوة والتعليم، وبناء الدارس ودور العلم ووقف الكتب والمصاحف وغيرها بالإضافة إلى ذلك فقد شاركت المرأة في الحروب وميادين أخرى. وهذا إن دل على شيء فهو يدل على جدارة المرأة وكفاءتها في قيادة العديد من الأمور سواء كانت في ميادين علمية أو سياسية أو اقتصادية أو غيرها. فكما أخرجت هذه الأمة رجالا لا يعرف لهم مثيل في العالم فقد أخرجت كذلك نساء فضليات يعتبرن قدوة يحتذى بهن، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم إنما النساء شقائق الرجال"، ومعنى الشقائق هنا أي نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطباع.

هل كان للمرأة اهتمام بالعلوم والفنون

إن الإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في التعليم إذ أن طلب العلم فريضة على كل مسلم. إذ اهتم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بتعليم نسائه وخصص لهن وقتا خاصا، حيث كان النساء يحرصن على حضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم ويصلين في المساجد وكانت الكثير منهن يعرفن القراءة والكتابة وكانت أول امرأة عرفت الكتابة في عصر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هي الشفاء بنت عبد الله القرشية.

فالمرأة هي التي تربي وتعلم وتلقن المبادئ واللمسات الأولى لشخصية الطفل الذي يتطور ويكبر وبالتالي يصبح عالما ومبدعا ويساهم في بناء الحضارة وتطور المجتمع وخدمة الإنسانية.

المرأة وطلب العلم

تجسد تعلم المرأة ابتداءا من الجيل الأول للنساء القدوة المؤمنات الصالحات العالمات والمعلمات زوجات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وغيرهم من كان لهن دور كبير في إرساء تعاليم الحضارة العربية الإسلامية، إلى العصور الزاهية للعطاء العلمي النسائي والحضور الاجتماعي الإيجابي وكذا المساهمة في بناء الحضارة الذي قد شهد له الكثير من داخل الحضارة وخارجها، تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: "ظلت المرأة في الإسلام تحتل مكانة أعلى وأرفع مما احتلته في الجاهلية وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن

القانون والشرع ويلقن المحاضرات في المساجد، ويفسرن أحكام الدين، فكانت السيدة تنهي دراستها على يد كبار العلماء، ثم تنال منهم تصريحا لتدرس هي بنفسها ما تعلمته فتصبح أستاذة وعالمة، كما لمعت من بينهن أديبات وشاعرات والناس لا تبدي في ذلك عضاضة أو خروجا عن التقاليد وتجمع كتب التراجم والطبقات على أن المرأة المسلمة، تعلمت علوما شتى، وأتقنت بعضها، وتخصصت في بعضها وأكثر العلوم التي كانت محل اهتمام المرأة عبر العصور التاريخية مشرقا ومغربا: العلوم الشرعية، القرآن الكريم، الحديث النبوي، الفقه، والتفسير، القراءات، العقيدة، التصوف، العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة والتاريخ بالإضافة إلى الطب والفلك والرياضيات والتمريض والحساب وغيرها.

المرأة المسلمة وأماكن التعلم

لقد كان المكان الأول الذي اتخذته المرأة المسلمة وجهة للتعلم هو المسجد وذلك منذ عصر النبوة، كما كانت حجرات أمهات المؤمنين منارات للإشعاع العلمي والثقافي، إن كن يستقبلن النساء اللواتي يسألن عن أمور دينهن، وقد أخذ العلم عن عائشة رضي الله عنها لوحدها حوالي ٢٩٩ من الصحابة والتابعين، منهم ٦٧ إمرأة كلهن يقصدن بيتها الذي كان بمثابة مدرسة وجامعة لمختلف العلوم، وهناك أم سلمة التي اشتهرت بالعلم وخاصة في مجال الفقه، فقد روي عنها كثير من الصحابة والتابعين بلغوا حوالي١٠١، منهم ٢٣ إمرأة

ولقد تطورت أماكن التعلم مع تطور وازدهار الحضارة العربية الإسلامية حيث نشأت المدارس وتخصصت كل مؤسسة في مجال محدد، كانت هناك مدارس خاصة بالنساء وخاصة في المدن الكبرى كبغداد والشام ومصر والأندلس والمغرب.

لقد ساهمت المرأة المسلمة بدور كبير في تعلم العلم الشرعي وكذا تبليغه عبر العصور، بدءا مع أمهات المؤمنين، وتلتهن أجيال كثيرة من النساء عبر الأزمنة في التحمل والتبليغ وقد روين الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم سماعا حيث كانت روايتهن للأحاديث عامة ولم تقتصر فقط على الأحاديث المتعلقة بقضايا المرأة أو الموضحة لأحكام مهمة بالنساء فقط، حيث رويت كذلك أخبار السيرة النبوية والمعجزات و غير ذلك من المواضيع، حيث لقد اكتشفت دراسات معاصرة للعصور الأولى للوحي إسهامات ثمانية آلاف امرأة في كل العلوم الإسلامية كالحديث والتفسير والفقه ولقد لمعت العديد من النساء في هذا المجال نذكر منهن:

* أسماء بنت أسد بن الفرات القيراوانية، ابنة عالم إفريقية وقاضيها المشهور وصاحب الإمامين أبي يوسف يعقوب ومالك بن أنس. نشأت أسماء بين يدي أبيها وحيدة فلم يكن له سواها، فأحسن تهذيبها وتأديبها، فكان يعلمها القرآن والحديث والفقه، فكانت بذلك من النساء الرائدات في زمانها في الفقه والحديث والحكمة، كانت السيدة أسماء تحضر باستمرار في مجالس والدها العلمية في داره وتشارك في السؤال والمناظرة، حتى اشتهرت بالفضيلة ورواية الحديث والفقه.

* كريمة المروزية: لقد عرف القرن الرابع للهجرة عددا كبيرا من النساء اللواتي يدرسن العلوم الإسلامية، وكان لهن طلبة لرجال من العلماء المميزين، وتعتبر كريمة المروزية إحداهن، فقد كانت خبيرة في صحيح البخاري وكان يحضر مجلسها العلمي بالمسجد الحرام بمكة عدد كبير من الرجال أمثال المؤرخ الخطيب البغدادي، وكانت تدعى "أم الكرام: نجيبة النجباء" في علمها بصحيح البخاري.

* نفيسة بنت الحسن المولودة بمكة سنة ١٤٥هـ، من أمها زينب بنت الحسن. نشأت بالمدينة حيث درست بها في شبابها في كبريات حلقات العلماء في عصرها، وفي حضن المسجد النبوي، ودرست الحديث النبوي والفقه حتى لقبت "نفيسة العلم".

كما أنه لابد من الإشارة كذلك إلى أن نساء الأندلس، وفي محاولة منهن للبحث والتحصيل، كن يسافرن من مدينة إلى أخرى طلبا للعلم، وخير مثال على ذلك نجده مع ابنة فائز القرطبي المجهولة الاسم والتي رحلت إلى غرناطة للتتلمذ على يد المقرئ أبي عمر الداني. وحين علمت بمرضه استفسرت عن من يشابهه في العلم للأخذ عنه ما تيسر من العلم، أما أم الحسن بنت اللواء، فكانت لصيقة بالباقي بن مخلد مثلها في ذلك مثل التلامذة الرجال

المرأة والكتابة والتخصصات العلمية

لقد ثبت على أن المرأة تعلمت الكتابة قبل الجاهلية، وليس في الإسلام فقط الذي ركز على ذلك كثيراً، ومن النساء اللواتي اشتهرن بحسن الخط وجودته وليس الكتابة فقط، عائشة بنت أحمد القرطبية التي قال عنها المؤرخون: " إنه لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعادلها علما، وفهما وأدبا وعزا، كانت تمدح ملوك الأندلس، حسنة الخط، تكتب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتب وتعني بالعلم ولها خزانة علم كبيرة توفيت عام ٤٠٠هـ".

ومن اللواتي ذكرهن لنا التاريخ بالتمجيد "صفية بنت عبدالله" الكاتبة التي تفرغت لنقل المخطوطات، واشتهرت ببراعتها في جودة الخط وجماله، وفي الإنشاء

حتى ان قرطبة الشرقي كان يحوي ما يناهز مائة وسبعين امرأة كانت تكتب القرآن الكريم بخط كوفي رفيع. وكثيرة هي الأنباء التي تؤكد لنا أن إتقان المرأة الأندلسية للخط العربي العتيق أهلها لنيل رتبة كاتبة وولوج عالم المراسلات الرسمية داخل القصر.

إسهام المرأة المسلمة في ميدان الطب

ففي صدر الإسلام ساهمت المرأة بخبرتها في الطب وكذا الصيدلة في الغزوات والحروب التي خاضها المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم و كذلك بعد وفاته، وكن يعملن في تضميد الجراح وجبر العظام، وخير مثال على ذلك:

* رفيدة الأسلمية وهي من جيل الصحابيات وهي أولُ ممرضةٍ في الإسلام؛ كانت تقوم بمداواةِ مُصابي المسلمين وجرحاهم في غزوات الرسول – صلَّى الله عليه وسلم – التي خاضها لنشر الإسلام، كما كانت لها خيمة إسعافية تستقبل فيها الجرحى والمصابين؛ لتقوم بإسعافهم بمساعدة بعض الصحابيات الجليلات، فتسعفهم وتداويهم بمعرفتها الطبية، وخبرتها العلاجية المعروفة في ذلك الوقت

* وأم الحسن بنت القاضي الطنجالي فوالدها هو أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي، الذي جاء الأندلس قادما إليها من المغرب، وقد كان ملما بصناعة الطب معتنيا بها، وقد أسهم والدها هذا بحظ وافر في تكوينها العلمي، إذ تشير كتب التراجم إلى أنها أخذت عنه صناعة الطب. ولم تكن ملمة بأصول صناعة الطب فحسب، وإنما كانت تدرسه لطلابها إيمانا واقتناعا منها بأن العلم لا يؤخذ من بطون الكتب ولكنه يؤخذ من حلقات الدرس والعلم. أمية بنت قيس الغفارية وهي زعيمة الطبيبات ولم تبلغ سن السابعة عشر من وزينب طبيبة بني أود التي كانت خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات، مشهورة بين العرب بذلك*عمرها بعد.

وتطلعنا كتب التراجم بمعلومات شيقة وطريفة عن النساء العاملات في الإسلام وخاصة في الأندلس، كأن تشير إلى انصبابهن التام على الدراسة وانشغالهن الكلي بمجال العلم وبالتالي عزوفهن عن الزواج. وكثيرة هي الأسماء الواردة في هذا الصدد، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر اسم عائشة بنت محمد بن محمد بن القاضم/ وولادة بنت المستكفي،وحفصة بنت الحاج الركونية وغيرهن من الأسماء اللامعة في هذا المضمار

في الفلك والرياضيات *

استهوى العربُ علمَ الفلكِ لأسبابٍ عديدةٍ، بعضها عملي، كتحديد اتجاه القبلة عند أداء الصلاة، أو لحساب الوقت والتاريخ والمواسم، بعضها إلهام ديني، هناك الكثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث تشجع على كسب العلم وتأمُّل الغاز الكون دليل على ذلك ورود مفردة "القمر" في القرآن سبعاً وعشرين مرة. بعض الآيات تستفيض في الحديث عن النجوم وأفلاك السماء. إحداها تشير إلى دوران كل من الشمس والقمر والأرض في مدارات محددة: "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" "يس" أو تتحدث عن قوانين تعاقب الليل والنهار: "لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"، كما قد سجل التاريخ بعض الأسماء للنساء العالمات في ميدان العلوم الطبيعية وخاصة الفلك نذكر منهن:

* مريم العجلية الحلبية تعتبر سيرتها استثنائية، فهي لم تنهج نمط حياة معظم نساء عصرها في القرن العاشر بل امتهنت حرفة برعت فيها، إذ اشتهرت بمهارتها في صنع الأدوات والأجهزة الفلكية، عملت مريم العجلية التي كانت تعرف باسم الاسطرلابية في صنع الاسطرلاب في حلب في شمال سوريا، وقد عملت لدى سيف الدولة الذي حكم حلب في هذه الفترة وتعتبر مريم حالة موثقة نادرة لامرأة عملت في الحقل العلمي في مطلع العهد الإسلامي
* فاطمة المجريطية التي عاشت في القرن العاشر والحادي عشر وهي ابنة عالم الفلك الأندلسي العظيم مسلمة المجريطي، وبدأت رحلتها العلمية عندما وجد أبوها ذكاءها واهتمامها بالعلوم الفلكية واهتمامها بالرياضيات، فدربها وعلمها، حتى وجد أنها تصلح لتكون شريكة في البحث العلمي، عملت مع والدها على التحقيقات الفلكية والرياضية وقاما معاً بتحرير وتصحيح "الجداول الفلكية للخوارزمي" والتي ما تزال موجودة إلى اليوم في مدريد وقاما بمشروع مشترك آخر وهو كتاب يدرس عمل الأسطرلابات.
* لبنى القرطبية عالمة رياضيات ومدونة الخليفة، توفيت في عام ٩٨٤م، كان المدونون في ذاك الوقت عملهم الرئيسي تدوين الكتب وترجمتها، ولكن لبنى كانت من العلماء الذين لم يكتفوا بالتدوين، بل كانوا يضيفون أفكارهم وحلولهم للمعادلات الرياضية ويعدلون الأخطاء الذي يجدونها في الكتب، وكانت لبنى تجد حلولاً لأصعب العمليات الرياضية. وقد اشتهرت أيضاً بخطها الجميل وتمكنها من الخط العربي.

المصدر

المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد، بتصرف [1]

المرأة بين القانون والشرع، الفقيه الحجوي [2]